مختصـر ابن كثير

1 - يسألونك عن الأنفال قل الأنفال والرسول فاتقوا ا وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا ا ورسوله إن كنتم مؤمنين .

قال البخاري : الأنفال المغانم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس Bهما سورة الأنفال قال : نزلت في بدر وروي عن ابن عباس أنه قال : الأنفال الغنائم كانت لرسول ا صلى ا عليه وسلّم خالصة ليس لأحد منها شيء (وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد أنها المغانم) قال فيها لبيد : .

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن ا ريثى والعجل .

وقال ابن جرير عن القاسم بن محمد قال : سمعت رجلا يسأل ابن عباس عن الأنفال ؟ فقال ابن عباس Bهما : الفرس من النفل والسلب من النفل ثم عاد لمسألته فقال ابن عباس أيضا ثم قال الرجل : الأنفال التي قال ا في كتابه ما هي ؟ قال القاسم : فلم يزل يسأله حتى كاد يحرجه فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ؟ . . مثل صبيع الذي ضربه عمر بن الخطاب .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس أنه فسر النفل بما ينفله الإمام لبعض الأشخاص من سلب أو نحوه بعد قسم أصل المغنم وهو المتبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل وا أعلم . وقال مجاهد : إنهم سألوا رسول ا صلى ا عليه وسلّم عن الخمس بعد الأربعة من الأخماس فنزلت : { يسألونك عن الأنفال } وقال ابن مسعود : لا نفل يوم الزحف إنما النفل قبل التقاء الصفوف وقال ابن المبارك عن عطاء بن أبي رباح في الآية { يسألونك عن الأنفال } قال يسألونك فيما شذ من المشركين إلى المسلمين في غير قتال من دابة أو عبد أو أمة أو متاع فهو نفل للنبي صلى ا عليه وسلّم يصنع به ما يشاء قال ابن جرير وقال آخرون : هي أنفال السرايا بلغني في قوله تعالى { يسألونك عن الأنفال } قال : السرايا ومعنى هذا ما ينفله الإمام لبعض السرايا زيادة على قسمهم مع بقية الجيش .

وقد صرح بذلك الشعبي واختار ابن جرير أنها الزيادة على القسم ويشهد بذلك ما ورد في سبب نزول الآية وهو ما روي عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر قتل أخي (عمير) وقتلت (سعيد بن العاص) وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فأتيت به النبي صلى ا عليه وسلّم فقال : " اذهب فاطرحه في القبض " .

قال : فرجعت وبي ما لا يعلمه ا من قتل أخي وأخذ سلبي قال : فما جاوزت إلا يسيرا حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول ا صلى ا عليه وسلّم : اذهب فخذ سلبك " .

(سبب آخر في نزول الآية) : .

وقال الإمام أحمد عن أبي أمامة قال : سألت (عبادة) عن الأنفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فانتزعه ا من أيدينا .

وجعله إلى رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقسمه رسول ا صلى ا عليه وسلّم بين المسلمين عن بواء يقول : عن سواء . وقال الإمام أحمد أيضا عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع رسول ا صلى ا عليه وسلّم فشهدت معه بدرا فالتقى الناس فهزم ا تعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون وأقبلت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه وأحدقت طائفة برسول ا صلى ا عليه وسلّم لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق به منا نحن منعنا عنه العدو وهزمناهم وقال الذين أحدقوا برسول ا صلى ا عليه وسلّم : خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به فنزلت : { يسألونك عن الأنفال قل الأنفال والرسول فاتقوا ا وأصلحوا ذات بينكم } فقسمها رسول ا صلى ا عليه وسلّم بين المسلمين وكان رسول ا صلى ا عليه وسلّم إذا أغار في أرض العدو نفل الربع فإذا أقبل راجعا نفل الثلث وكان يكره الأنفال (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي : هذا حديث صحيح) . وروى أبو داود والنسائي وابن مردويه واللفظ له .

عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا " فتسارع في ذلك شبان القوم وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما كانت المغانم جاءوا يطلبون الذي جعل لهم فقال الشيوخ لا تستأثروا علينا فإنا كنا ردءا لكم لو انكشفتم لفئتم إلينا فتنازعوا فأنزل ا تعالى : { يسالونك عن الأنفال - إلى قوله - واطيعوا ا ورسوله إن كنتم مؤمنين } وقال الإمام القاسم بن سلام C في كتاب (الأموال الشرعية) : أما الأنفال فهي المغانم وكل نيل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب فكانت الأنفال الأولى لرسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول ا تعالى : { يسألونك عن الأنفال قل الأنفال والرسول } فقسمها يوم بدر على ما أراه ا من غير أن يخمسها ثم نزلت بعد ذلك آية الخمس فنسخت الأولى قلت : هكذا روي عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي وقال ابن زيد : ليست منسوخة بل هي محكمة والأنفال أصلها جماع الغنائم إلا أن الخمس منها مخصوص لأهله على ما نزل به الكتاب وجرت به السنة . ومعنى الأنفال في كلام العرب : كل إحسان فعله فاعل تفضلا من غير أن يجب ذلك عليه فذلك النفل الذي أحله ا للمؤمنين من أموال عدوهم وإنما هو شيء خصهم ا به تفضلا منه عليهم بعد أن كانت الغنائم محرمة على الأمم قبلهم فنفلها ا تعالى هذه الأمة فهذا أصل النفل . وشاهد هذا ما في الصحيحين : " وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي " وذكر تمام الحديث .

وقوله تعالى : { فاتقوا ا وأصلحوا ذات بينكم } أي اتقوا ا في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا فما آتاكم ا من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه { وأطيعوا ا ورسوله } أي في قسمه بينكم على ما أراده ا فإنه إنما يقسمه كما أمره ا من العدل والإنصاف وقال ابن عباس : هذا تحريج من ا ورسوله أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم وقال السدي { وأصلحوا ذات بينكم } أي لا تستبوا ولنذكر ههنا حديثا أورده الحافظ أبو يعلى الموصلي C في مسنده عن أنس Bه قال : بينا رسول ا A جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر : ما أضحكك يا رسول ا بأبي أنت وأمي ؟ فقال : " رجلان من أمتي جيثا بين يدي رب العزة تبارك وتعالى فقال أحدهما : يا رب خذ لي مظلمتي من أخي قال ا تعالى : أعط أخاك مظلمته قال : يا رب لم يبق من حسناتي شيء قال : رب فليحمل عني من أوزاري " قال ففاضت عينا رسول ا A بالبكاء ثم قال : " إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم فقال ا تعالى للطالب : ارفع بصرك وانظر في الجنان فرفع رأسه فقال : يا رب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا ؟ لأي صديق هذا ؟ لأي شهيد هذا ؟ قال : هذا لمن أعطى ثمنه ؟ قال : رب ومن يملك ثمنه ؟ قال : أنت تملكه قال : ماذا يا رب ؟ قال تعفو عن أخيك وقال : يا رب فإني قد عفوت عنه . قال ا تعالى : خذ بيد أخيك فادخلا الجنة " . ثم قال رسول ا A : " فاتقوا ا وأصلحوا ذات بينكم فإن ا تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة " (أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي)